

## الفقر وآليات معالجته من منظور إسلامي

\* أ. د. فرحات غول، جامعة الجزائر 3، الجزائر.

\*\*أ. بوقليع محمد، جامعة الجزائر 3، الجزائر.

### الملخص

تعالج هذه المداخلة موضوعا مهما حساسا ومعقدا، يتمثل في ظاهرة الفقر، هذه الظاهرة التي تعرفها مختلف المجتمعات وبدرجات متفاوتة، ومنذ العصور القديمة، حيث اكتست الدراسة للفقر نظرة إسلامية، بيّنا من خلالها مفهوم الفقر ونظرة الإسلام إليه، ما هي مسبباته، وما هي الأخطار التي يمكن أن تترتب على الانتشار الكبير له في المجتمعات.

لقد تطرقت الدراسات الإسلامية إلى آليات معالجة ظاهرة الفقر والتقليل من حدتها، وهو ما حاولنا إظهاره في هذه المداخلة، من خلال إظهار هذه الآليات التي أخذت مصدرها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسواء تعلق الأمر بالمعالجة الروحية والعقدية أو بالمعالجة المادية، وذلك انطلاقا من أن الفقير هو من لا يستطيع مواجهة متطلبات العيش الكريم وبالأخص الحاجيات الأساسية.

عكس الأنظمة الوضعية التي تركز في معالجة ظاهرة الفقر على الجانب المادي والمالي (نظرة مادية)، فإن الإسلام له نظرة مخالفة لذلك، نظرة ربانية شمولية، تتميز بالتوازن، حيث يعتمد في معالجته لهذه الظاهرة على بعدين أساسيين:

- البعد الروحي (العقائدي): الذي يبني على أساس تربية الفرد تربية صحيحة، ويكتسب من خلالها عقيدة إسلامية صحيحة، يؤمن من خلالها بمختلف ما جاء في القرآن والسنة من الأوامر والنواهي، ويلتزم بالتطبيق لذلك، سواء في السراء أو الضراء، كما يؤمن والقضاء والقدر، ومنه اكتساب خلق القناعة وحب العمل والاعتماد على النفس...

- البعد المادي: ضرورة توفير ما يسد حاجات الفرد الأساسية ويضمن له عيشا كريما، ويتم ذلك من خلال عدة آليات: الزكاة، التكافل الاجتماعي، الصدقات التطوعية، التخطيط الجيد من قبل المسؤولين... الخ.

الكلمات المفتاحية: الفقر في الإسلام، الفقير في الإسلام، البعد المادي (المالي)، البعد المعنوي (العقدي)، الزكاة.

### Abstract:

This paper investigates an important topic sensitive and complex, about the phenomenon of poverty, this phenomenon is that you know the different communities and to varying degrees, since ancient times, Where he took on the study of poverty Islamic look, and from which the concept of poverty and look to Islam, what are the causes, what are the dangers that could result from the large spread in his community.

In addition, this paper investigates Islamic studies have touched on the treatment of the phenomenon of poverty and reduce the severity of mechanisms, It is what we have tried to show in this paper , It is what we have tried to show in this intervention, by showing these mechanisms, which took its source from the Koran and the Sunnah, and whether it is spiritual and Streptococcus therapy or physical therapy, and so out of the poor is those who can not cope with a decent living requirements and in particular the basic needs.

Finally, this paper investigates about unlike contemporary legal systems that focus on the phenomenon of poverty on the physical and financial side (physical look), Islam has a look to the contrary, look divine inclusive, characterized by balance, which depends on the handling of this phenomenon on two main components:

\* [ferhatghoul@yahoo.fr](mailto:ferhatghoul@yahoo.fr)

- The spiritual dimension (dogmatic), which built on the basis of individual breeding true, which acquires ideological correct , believes in which various what came in the Qur'an and Sunnah , also believes the fate and destiny...ect

- Physical dimension: the need to provide the basic needs of the individual fills and guarantee him a decent living and this is done through several mechanisms: Zakat, social solidarity, charity volunteer... ect

**Keywords:** Poverty in Islam - Islam in the poor, - the physical dimension (financial), - the moral dimension (dogmatic), Zakat.

## مقدمة

تعتبر ظاهرة الفقر ظاهرة قديمة، فلقد عرفت مختلف الأمم هذه الظاهرة ولو بنسب متفاوتة، وتعرف في الوقت الراهن انتشارا رهيبا، بالأخص في الدول المتخلفة أو السائرة في طريق النمو، حيث تتسع الهوة بين فئة تملك فائضا من الإمكانيات المالية وفئة لا تجد ما تسد بها رمق العيش.

اهتم الإسلام بهذه الظاهرة من حيث مفهومها وأسبابها وكيفية معالجتها، لذلك نجد العديد من الأحاديث والآيات القرآنية تناولت هذه الظاهرة بالتفصيل، والفقر في الإسلام فردا كان أو دولة هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع، أي أن المستوى المعيشي غير لائق، وباصطلاح الفكر الاقتصادي الإسلامي يعني عدم توافر " حد الكفاف أو حد الغنى " لا " حد الكفاية ". لقد علم الإسلام أفراد المجتمع ومنهم الفقير أن الكرامة والرفعة لا تكون بالثروة وما يملك المرء من أموال، بل العلم والعمل الصالح والتقوى هو الأساس، وعليه فإن الإسلام ينظر إلى الفقر على أنه ابتلاء من الله عزّ وجلّ لعبده المؤمن، كما أن تفاوت الأرزاق والقدرات والمواهب سنة الله في خلقه، وبالتالي فإن الفقر لا يعتبر عيبا اجتماعيا أو ذلة، ولا منقصة من كرامة الفقير، بل ذلك أمر قدره عادي لا بد أن يكون، ومع ذلك فإن الإسلام ينكر النظرة التقديسية للفقر ( النظرة الجبرية)، بل يجعل الغنى نعمة يمتن الله بها على عباده ويطلب بشكرها، ويجعل الفقر مشكلة يستعاذ بالله منها بعد نهاية كل صلاة في الدعاء وغيره من الأدعية المأثورة.

في ظل العولمة الاقتصادية فإن آخر صورة للفقر تواجهها المجتمعات البشرية، تتمثل في أن 20 % من سكان العالم يجب أن يكونوا أغنياء بالقوة و80 % الباقون يفرض عليهم الفقر، وهي صورة شديدة التعقيد وصعبة العلاج، وقد يصبح الفقر مشكلة عويصة في حالة غياب أساليب العلاج الناجعة، لذلك اهتم الإسلام بوضع حلول لظاهرة الفقر قبل وبعد حدوثها بوسائل متعددة حفاظا على المجتمع المسلم من الأخطار التي قد تصيبه أخلاقيا وسلوكيا وعقائديا، ولعل أكثرها تأثيرا الزكاة، ثم التكافل الاجتماعي، كما حث على العمل ونهى عن التكاثر والتسول، واستعمل في ذلك أساليب تجمع بين الاهتمام بمجال الفكر والتصور، ومجال السلوك والتصرف.

بناء على ما سبق يطرح الإشكال التالي: كيف ينظر الإسلام إلى الفقر وما هي آليات وأساليب معالجته أو التخفيف من أضراره ؟

من أجل معالجة الإشكال المطروح سوف نتطرق إلى العناصر التالية:

1/ مفهوم الفقر والفقراء في الشريعة الإسلامية.

2/ الأخطار التي يسببها الفقر ونظرة الإسلام إلى الفقر.

3/ المنهج الإسلامي في معالجة مشكلة الفقر والتقليل من حدتها.

1/ مفهوم الفقر وأنواعه في الإسلام:

1.1 - مفهوم الفقر والفقراء: هناك مفاهيم مختلفة للفقر، يمكن أن نتطرق إلى البعض منها على النحو التالي:

• المفهوم اللغوي للفقر: الفقير هو المكسور فقار الظهر، والفاقره الداهية، يقال فقرته الفاقرة أي كسرت فقار ظهره، فالتعريف

القاموسي اللغوي للفقر يشير إلى النقص والحاجة، فالفقير إلى الشيء لا يكون فقيراً إليه إلا إذا كان في حاجة إليه لغيابه تماماً أو لوجوده دون الحاجة، والمعنى السائد الذي تبادر إلى الذهن قبل غيره هو نقص المال الذي يمكن من تحقيق الحاجات من مأكّل وملبس ومسكن(1).

• **المفهوم الاصطلاحي للفقير:** ذهب الحنفية إلى أن من يملك دون نصاب الزكاة فهو فقير، وذهب المالكية إلى أن الفقير هو الذي لا يملك قوت سنة، أما عند الشافعية فالفقير هو من لا مال له ولا كسب، وقد ذهب الحنفية إلى أن الفقير هو من لا يملك شيئاً، ويرى ابن تيمية بأن الفقير هو كل من ليس لديه ما يكفيه أو ليس له حد الكفاية، وهذا الحد يختلف باختلاف ظروف المجتمعات ومستويات المعيشة، فقد يكون في وقت من الأوقات يقدر بما دون نصاب الزكاة، وقد يقدر في وقت آخر بما يساوي قوت عام، وهكذا...، وهذا المعنى الواسع للفقير الذي يدخل عرف الناس واصطلاحهم في كل زمان ومكان، يسمح بإدخال المؤشرات والمعايير التي يذكرها خبراء التنمية والمنظمات الدولية المهتمة بموضوع الفقر(2).

• **البعد المادي والبعد الروحي للفقير:** الإسلام لا ينظر إلى الفقر في صورته الظاهرية على أنه الفقر المادي الذي لا يجد معه الإنسان ما يسد به رمقه، بل ينظر إليه بصورة أعمق، وذلك من خلال الفهم الحقيقي لذات الإنسان وأن مسألة الفقر والغنى هي خلق يترتب عليه الإنسان ويعيشه قبل أن يكون واقعاً يعيشه، ولأجل ذلك فنظرة الإسلام إلى الفقر تنطلق من جانبين هما(3):

أ) **الجانب المادي (الفقر المادي)** وهو ضعف الحال المادي وعدم وجود ما يكفي الإنسان من الحاجيات وأحياناً الضروريات.  
ب) **الجانب المعنوي (الفقر المعنوي):** هو فقر تصاب به النفس والروح حيث يفقد الإنسان معه أخلاقاً ضرورية، كالقناعة والرضا، وقد يكون هذا الفقر موجوداً في ظل وجود غنى مادي، لكن تبقى النفس فقيرة، وقد يكون وجوده في ظل فقر مادي فتكون المشكلة جلية.

في بيان ذلك جاءت الأحاديث الصحيحة، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس " (صحيح البخاري: 228/7)، فليس الفقر منحصرًا فقط في قلة ذات اليد وضعف الحال، بل هو متحقق بشكل مؤكد لدى من عنده ما يكفيه، ولكن نفسه فقيرة، غير قانعة، وهذا الأمر كان ظاهرًا بجلاء في التعامل مع داء الفقر في الإسلام، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيان منهجه في توزيع الأعطيات والصدقات: " أعطي أقراباً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقراباً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير... " (صحيح البخاري: 250/1)، وهذا يؤكد أن معالجة الفقر المادي قد لا يمثل مشكلة بحجم المشكلة التي يمثلها الفقر المعنوي؛ لأنه يكون مصحوباً ببعض الأخلاق المدمرة للشخصية والتي تنعكس بشكل سلبي على المجتمع بأسره، كالجزع والهلع وعدم الصبر وضعف القناعة؛ تلك الصفات التي قد تدفع صاحبها لارتكاب حماقات تضره وتفسد مجتمعه.

يضع الإسلام خطأ واضحاً للتفريق بين الفقراء والأغنياء، ويجعل مقياس الفقر والغنى يتمثل في: " المؤونة السنوية، أي ما يكفي الفرد وعياله من المواد الغذائية الأساسية واللباس والسكن لمدة سنة، فضلاً عن ما يحتاجه في السفر وخدمة ضيفه، وتقديمه للهدايا، وتزويج أولاده... " (4).

• **المفهوم النسبي والمطلق للفقير:** هناك من ينظر إلى الفقر من جانبين(5):

أ- **الفقر النسبي:** حيث أن الشيء الأقل يعد فقيراً بالنسبة للأكثر، وفي هذا يعكس الفقر التفاوت في الدخل، والتفاوت في حد ذاته يعترف به الإسلام كسنة كونية، لأنه يرجع لاختلاف قدرات الأفراد ومقدار ما يبذلونه من جهد وعمل صالح، وفي هذا يقول الله تعالى: " أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون " (الزخرف/32)، وقوله تعالى: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم " (الأنعام/165).

بناء على ذلك فإن الإسلام يقر هذا التفاوت بين الأفراد في أرزاقهم وفي نمط حياتهم أو معيشتهم، وذلك نتيجة طبيعية لاختلافهم في مقدار ما يبذلون من جهد وعمل، ولعل الهدف من وراء هذا التفاوت هو التسخير والابتلاء، حيث أن كل فرد مسخر للآخر في صفة يتميز بها (العالم بالعلم، الغني بالمال، الفقير بالجهد...)، ومنه فالمقصود هو التعاون على أساس أن الجميع يحتاج إلى بعضهم البعض.

**ب- الفقر المطلق:** بمعنى عدم تمكن الفرد من إشباع حاجاته، ويعني الفقر في هذا الشأن عدم إمكان الفرد تحقيق حد الكفاية، وهنا يمكن التساؤل عن نوعية الحاجات غير المشبعة هل هي الحاجات الضرورية والأساسية التي تحفظ للإنسان مجرد حياته في الدنيا وهو ما يطلق عليه " **حد الكفاف** "، أم هي الحاجات المعتادة التي تضمن للإنسان العيش المناسب في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة، وهو ما يطلق عليه: " **حد الكفاية** ".

## 2.1- أنواع الفقر : أخذت ظاهرة الفقر أشكالاً متعددة، نذكر منها (6):

- **الشكل التقليدي:** تعني وجود فقير في مقابل غني، والمعيار في هذا الشكل هو الثروة ومعها الدخل، وهو معيار اقتصادي.
  - **وجود حر مقابل عبد:** في هذا الشكل هناك معيارين، **المعيار الاقتصادي:** ويمثله الفقر في الدخل والثروة، **والمعيار السياسي:** يعني فقدان الإرادة السياسية، حيث إرادة سيده تصبح إرادته.
  - **رقيق الأرض:** ظهر هذا في النظام الإقطاعي ( قن الأرض) في مقابل الإقطاعي، حيث لا يكون العامل الاقتصادي هو الأقوى، وإنما فقدان الإرادة السياسية هو العامل الظاهر وهو الأقوى، ويأتي تبعاً للعامل الاقتصادي.
- يقسم البعض الفقر إلى ثلاثة أنواع :** فقر القدر، فقر الكل وفقر الإنسان (7):

- **فقر القدر:** يكون من خلال إصابة الإنسان بعاهة أو مرض عضال يحول بينه وبين الكسب، فهو قدر من الله عزّ وجلّ وفيه حكمة بالغة لو تم كشفها لشكر الفقير ربه على هذا الفقر، والمجتمع متكافل متضامن.
- **فقر الكل:** هو فقر الإهمال، فقر التبطل، فقر العقود، فقر الراحة، حيث أن هذا الفقر مذموم والإنسان محاسب عليه، ولقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: "دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى شاباً يصلي في غير أوقات الصلاة، قال يا هذا من يطعمك، قال أخي، قال: أخوك أعبد منك الذي يطعمك أعبد منك". كما أمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بيد ابن مسعود وكانت خشنة من العمل فقال عليه الصلاة والسلام: "إن هذه اليد يحبها الله ورسوله"، وعن عمر بن العاص قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " ( أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد)، فهذا فقر الكسل المذموم الذي يحاسب الإسلام عليه.
- **فقر الإنفاق:** أما فقر الإنفاق فهذا فقر آخر، نقف عنده وقفة سريعة، جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال: " يا رسول الله، والله إني أحبك، قال انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك، قال: انظر ما تقول، قال: والله إني أحبك، فقال عليه الصلاة والسلام: إذا كنت صادقاً فيما تقول، للفقير أقرب إليك من شرك نعليك "، إن أحببتي حقيقة، لا بد من أن تنفق مالك في سبيل الله، لا بد من أن تعطي من مالك الذي أعطاك الله، فهذا فقر الإنفاق وسام شرف للمؤمنين، من شدة إنفاقه، أنفق ماله.

## 2/ أسباب الفقر في وأخطاره في الفكر الاقتصادي الإسلامي:

1.2- **أسباب الفقر من منظور إسلامي:** ترجع مشكلة الفقر في النظام الإسلامي إلى مجموعتين من الأسباب الأولى خلقية والثانية أخلاقية(8).

- **الأسباب الخلقية (الربانية) :** أهمها سببان:

أ- **التفاوت بين البشر:** إذا اقتضت حكمة الله عز وجل أن يخلق الناس متفاوتين في قدراتهم ومواهبهم وميولهم وذكائهم من أجل أن

يتعاونوا ويكملوا بعضهم البعض في مهمة الإعمار والخلافة والإكثار من الخير والتقليل من الشر، وبناء على ذلك فقد وجدت طائفة من البشر، وفي كافة العصور لا تستطيع تلبية حاجياتها ورغباتها بما يغنيها عن مساعدة الناس وعونهم، وقد اعترف الإسلام بهذه الفئة وجعل لها حقوقا ثابتة على المجتمع والدولة.

**ب-الإبتلاء والمصائب:** في كل مجتمع بشري لابد أن توجد فئة من المجتمع تصاب بالعجز أو المرض والإعاقة أو الإفلاس أو غير ذلك من أشكال الضعف البشري، وهذه الفئة كالفئة السابقة تحتاج إلى من يقوم برعايتها والإنفاق عليها، وقد تكفل الإسلام بهذه الفئة وضمن لها حقوق دائمة في بيت مال المسلمين.

• **الأسباب البشرية والأخلاقية:** وأهمها سببان:

**أ-عجز الإنسان وكسله:** إذ يعاني الكثير من الناس من البؤس والشقاء بإرادتهم نتيجة كسلهم وعجزهم وقعودهم عن الجد والإجتهد والبذل والعطاء، وعدم استخدام مواهبهم وطاقاتهم بما ينفعهم وينفع الناس. وقد وضع الإسلام لهذه الفئة الكثير من الحوافز التي تدفعهم إلى العمل والبذل والعطاء واستثمار الطاقات وسد عليهم المنافذ التي تقيهم في هذا الوضع السيئ.

**ب-ظلم الإنسان وتعديه:** قال تعالى: " كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى " (العلق/6-7)، إن ظلم الإنسان لنفسه هو السبب الأول في استحقاقه العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ويكون ظلم النفس بإشباع أهوائها ونزواتها وإغراقها في الملذات والشهوات والترفع، وصرفها عن طاعة الله عز وجل، وأن الأخطر من ظلم النفس ظلم الآخرين بأكل حقوقهم والتضييق عليهم في الرزق واستغلالهم واستعبادهم، وبالإضافة إلى ذلك يشمل ظلم الإنسان، ظلم البيئة والطبيعة بإفسادها وتلويثها واستخدامها الاستخدام الجائر، ولقد وضع الإسلام لذلك كله ضوابط صارمة وحرصا شديدا على حفظ حقوق الناس، كما حث على الرفق والاستخدام الأمثل للموارد، ووضع نظاما دقيقا للمعاملات والعقوبات لكي يردع كل من لا يتمسك بأخلاق الإسلام وقيمه .

**2.2- الأخطار التي يسببها الفقر للمجتمعات الإسلامية:** يعتبر الفقر آفة خطيرة يخشى سوء أثرها على الفرد وعلى المجتمع معًا، وعلى العقيدة والإيمان، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة، وعلى الأسرة والأمة جميعًا، هناك العديد من الأخطار والتهديدات التي يمكن أن تلحق بالمجتمعات المسلمة، وتمس جوانب متعددة، يمكن أن نلخصها في العناصر التالية(9) :

• **الانحراف العقدي والأخلاقي،** حيث هناك العديد من الأحاديث تدل على خطر الكفر، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: " كاد الفقر أن يكون كفرا " (أخرجه ابن شيبه والبيهقي عن أنس رضي الله عنه)، كما كان بعض السلف يقول: " إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك "، كما قد يدفع الفقر صاحبه إلى الكذب، حيث قال صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل إذا غرم (استدان) حدث فكذب ووعد فأخلف " (رواه البخاري)، فضلا عن الوقوع في السرقة والزنا، أي خطر على الأخلاق والسلوك وخطر على الفكر الإنساني، يقول تعالى : " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا " (31/الإسراء).

• **انخفاض أو تقلص المردود الفكري للفقير،** بصفته المحرك الأساسي لجميع مجالات الحياة، وذلك لأن الانشغال والبحث عن قوت العائلة من قبل العالم، لا يسمح له باستغلال طاقاته في العلم والإرشاد.

• **هجرة العقول إلى بلاد الكفر فرارا من الفقر،** مما يعمق من التخلف وبالتالي الفقر.

• **هدد الفقر بنية المجتمع واستقراره،** حيث يعيق تكوين الأسر للعجز عن القيام بذلك (نقص الباءة)، علما أن الأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع، وعليه عدم القدرة على دفع نفقات الزواج (المهر والبيت وغيرها...)، كما يعتبر الفقر عائق أمام استمرار وتماسك الكثير من الأسر.

فضلا عن ذلك قد يتسبب الفقر في قتل بعض الآباء لأبنائهم، وهذا أشد من تفرق الأسرة وتشتت شملها بالطلاق أو الحروب، يقول تعالى: "ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم " (الأنعام/151)، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أي

الذنب أعظم عند الله، أنه قال: "...أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك" (صحيح البخاري: 260/8)، وعلى كل حال فأمام الفقر لا تصمد أي مقومات للأسرة في الغالب، حيث يمزق أواصر المحبة، ويرتقي فوق الدوافع الأخلاقية فيحطمها، ولأجل ذلك أجاز الشرع المطهر التفريق بين الزوجين إذا كان الزوج معسرًا، أما إشغاله للفكر والعلم فقد يكون سلبيًا، حيث أن الفقير المنشغل بضروريات الحياة وحاجاتها كيف يستطيع أن يفكر تفكيرًا دقيقًا فضلًا عن أن يفكر تفكيرًا إبداعيًا.

اعتبر الإسلام الفقر بنوعيه- المادي والمعنوي -مشكلة بل مصيبة يستعاذ بالله منها كما أنه كان يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الفقر" (السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي 214/7)، وقرنه في ذلك بالكفر، فمما أثر من دعاء في الحديث عنه قوله: " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر" (السنن الكبرى: 221/7)، بل جاء الأمر بالتعوذ من الفقر في قوله صلى الله عليه وسلم: " تعوذوا بالله من الفقر ومن القلة..." (السنن الكبرى: 214/7)، كما عد الغنى نعمة يمتن الله بها على عباده ويطالبهم بشكرها، من ذلك قوله تعالى: "ووجدك عائلًا فأغنى" (الضحى/7).

### 3/ المنهج الإسلامي في معالجة مشكلة الفقر والتقليل من حدتها:

اهتم الإسلام بمشكلة الفقر وحرص على علاجها في مهدها أو قبل نشوءها بالوقاية منها، وبعد حدوثها بالاعتماد على وسائل متعددة حفاظًا على المجتمع المسلم من الأخطار التي قد تصيبه أخلاقيا وسلوكيا وعقائديا، وكذلك الآثار التي يتركها في الاقتصاد الوطني، ولقد كان الحل النبوي عمليا ومبنيًا على تعاليم الإسلام، كما نجد من قسم أساليب معالجة الفقر إلى مجال الفكر والتصور من جهة، ومجال السلوك والتصرف من جهة أخرى، فضلًا عن كفالة الدولة وولي أمر المسلمين، منطلقًا في ذلك من القاعدة القائلة " الوقاية خير من العلاج"، حيث هناك اهتمامات فردية واهتمامات جماعية واهتمامات خاصة بالدولة، وهو ما سنحاول إيضاحه في هذا العنصر.

1.3 - بناء الفرد في على أساس عقيدة صحيحة: تتمثل أهم هذه الاعتقادات الفردية التي يمكن أن توظف في معالجة الفقر في (10):

- الفهم الصحيح للقضاء والقدر بشأن الفقر.
  - الفهم الصحيح للتوازن بين الموارد الاقتصادية وحاجات الأفراد.
  - الفهم الصحيح لأصل الملكية ( ملكية الاستخلاف).
  - الفهم الصحيح للقضاء والقدر بشأن الفقر: تتعلق القضية الأولى في معالجة الفقر في إبطال تعلق الفقراء بالقضاء والقدر، بمعنى أن الفقر هو قضاء وقدر من الله لا ينفك عنهم، ويلازمهم طوال حياتهم، مما يدفع بالفقير إلى الاستسلام للأمر الواقع، ومن أجل الوصول إلى ذلك، نعرض بعض الأدلة على ذلك:
  - الفقير فاعل فقره- أي متسبب فيه - إما استقلالًا أو مشاركة.
  - يتفق العلماء على أن القضاء والقدر لا يحتج به.
  - حركة العبد للسعي تجامع التعلق بالأسباب وتنافيها.
  - الاكتساب لإحياء النفس ولغير ذلك واجب.
  - الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابي: " اعقلها وتوكل".
  - ليس من شرط التوكل ترك الأسباب، فإن ذلك حرام في الشرع ولا يتقرب إلى الله بمحارمه.
  - قوله عزوجل: " يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم " ( النساء/71).
  - وجود المال في اليدين لا في القلب، ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها، لا ينافي الزهد.
- نخلص إلى أن معالجة مشكلة الفقر تنطلق من تصحيح عقيدة الفقير، بتحميله المسؤولية، مما يدفعه للعمل وحبه ومنه السعي لجلب

المال الكافي لمعيشته.

• **الفهم الصحيح لمغزى المشكلة الاقتصادية بالنسبة للمسؤولين:** يرى العديد من الاقتصاديين بأن المشكلة الاقتصادية تتمثل أساسا في ندرة الموارد مقارنة بالحاجيات، وهي الفكرة التي تشكل خطرا إذا ما ترسخت في ذهن المسؤولين، لأن القرارات الخاصة بمعالجة الفقر تصبح مبنية على ذلك الأساس الخاطيء، وهو ما يتنافى مع العقيدة الإسلامية، لأن المسلم يؤمن بقوله تعالى: "وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين" (هود/6)، ومنه فإن القضية لا بد أن ترتبط بالعقيدة، ويمكن إيضاح التوازن بين الموارد والحاجات من خلال العديد من الآيات، نذكر منها ما جاء في قوله تعالى: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون\* وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين\* وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" (19-21/الحجر).

من خلال الآيات الكريمة السالفة الذكر نستنتج ما يلي:

- بالنسبة لقوله تعالى: " وأنبتنا فيها من كل شيء موزون"، فالتوازن في الإسلام متعدد الجوانب ولا يمس التوازن المادي فقط (التوازن بين الحاجات والموارد الاقتصادية، التوازن بين الموارد الاقتصادية بعضها مع بعض، التوازن بين حاجات الفرد الاقتصادية بعضها مع بعض)، عكس التوازن في الاقتصاد الوضعي الذي يكون بين الموارد والحاجيات وفيه علاقة اختلال.

- بالنسبة لقوله تعالى: " وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم برازقين"، فالمولى سبحانه وتعالى أودع في الأرض موارد اقتصادية كافية لإشباع من يملك " لكم فيها معاش"، وأيضا لإشباع من لا يملك: " ومن لستم برازقين". وهو عكس ما تتبناه **نظرية مالتوس** من عدم الكفاية ومنه التخلص من البشر الزائد، ونفس الشيء بالنسبة للعملة في الوقت الحاضر.

- بالنسبة لقوله تعالى: " وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم"، حيث يخبرنا المولى عز وجل بأن الموارد الاقتصادية سوف تزيد بالقدر الذي يقدره الله تعالى، فهي متزايدة بحسب زيادة حاجات الأفراد، وهذا ما يعني بأن مشكلة الندرة ليست واردة في المستقبل.

نخلص من خلال الآيات السابقة إلى أن مشكلة الندرة لا مكان لها في الإسلام، ولكن المشكل المطروح هو كيفية حصول كل فرد على نصيبه من هذه الموارد، وبالتالي فهذه عقيدة لا بد أن ترسخ في ذهن المسلم.

• **الفهم الصحيح لمفهوم الاستخلاف في الأرض:** تستمد الملكية مشروعيتها من تشريعات الله سبحانه وتعالى، حيث لا بد أن يدرك الفرد صاحب المال أو الدولة على أنه وكيل على ما في يده وأنه أولا وقبل كل شيء مال الله، ومنه الالتزام بالتشريعات المنظمة للملكية، من حيث الاكتساب والاستثمار والالتزامات الاجتماعية التي يكلف بها، لتصبح عقيدة يسير عليها الفرد، وهناك العديد من الآيات تدل على ذلك: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم\* إن ريكك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم" (الأنعام/165)، وقوله تعالى: " وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا\* يعبدونني لا يشركون بي شيئا\* ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" (النور/55)، كما يقول تعالى في موضع آخر: " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض\* فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا" (فاطر/39).

**2.3- إستشعار المسؤولية الفردية والترغيب في العمل:** إن عملية الإصلاح في المجتمع تبدأ من الفرد المسلم، لذلك عمل الإسلام على إصلاح الفرد وحدد مجالات السلوك والتصرفات وقدم حلولاً عملية واقعية يأخذ بها الأفراد ليدرؤوا عن أنفسهم الفقر وما ينجم عنه، حيث يرغب الأفراد على العمل والكد، مع تحميلهم المسؤولية في تصرفاتهم ومطالبهم، وفي ذلك قال تعالى: " كل نفس بما كسبت رهينة" (المدثر/38)، وقوله تعالى: " ولا تكسب كل نفس إلا عليها" (الأنعام/164)، وليس الأمر مقتصر على الدنيا فحسب وإنما يمتد

للجزاء الأخروي فيجازى الإنسان على ما عمل وقدم، والقرآن يرسخ هذا الأمر لأهميته فيؤكد على الحساب يوم القيامة كما في قوله تعالى: "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضاً وما عملت من سوء" (آل عمران/30)، وقوله تعالى: "إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى" (طه/15).

إن استشعار الإنسان لهذه المسؤولية يدفعه إلى أن يعمل وفق ما يحبه الله ويرضاه، ومن فضل الله أنه لم يجعل العبادة مقتصرة على الشعائر الظاهرة كالصلاة والصيام والحج؛ بل تتجاوز ذلك لتشمل كل عمل أو قول يحبه الله ويرضاه سواء كان ظاهراً أو باطناً، وعلى هذا دلت آيات وأحاديث لا حصر لها، وفي ضمن ذلك يدخل سعي الإنسان لدفع الحاجة والفقر وتحصيل الرزق والعمل، فالعمل هو المصدر الرئيسي للكسب الحلال، ويساهم به الفرد في عمارة الأرض المستخلف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في معرض بيان ذلك: "ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها في في امرأتك" (صحيح البخاري: 233/6)، وعلى هذا ندرك أن الإسلام جعل المرء المسلم يحقق بسعيه لتحصيل الرزق والعمل أمرين هامين (11):

- أنه في عبادة وبذل يرضي به ربه وهو عليه مأجور مستحق للثواب من الله تعالى متى ما أصلح نيته في ذلك.
- أنه يدفع عن نفسه الحاجة والفقر ويحقق لها الكسب والغني الذي يرتفع به عن ما في أيدي الناس، ليحيا حياة كريمة وسعيدة، تمنحه الثقة بالنفس والرضا عن نفسه ومجتمعه.

لقد حث الإسلام على العمل وجعله واجبا على كل مسلم، كل فيما يطيقه ويتناسب مع قدراته وميوله، ولاشك أن العمل هو الطريق الأول لتحقيق الكسب والغنى والتخلص من الفقر، ولو عمل كل من يقدر على العمل لانحسرت ظاهرة الفقر بشكل كبير (12)، لذا فإن العمل في الاقتصاد الإسلامي له مكانة خاصة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعامه قط خيراً من أن يأكل من عمل يده" (صحيح الألباني رقم 29)، كما حارب الإسلام البطالة والتسول وسد كافة المنافذ التي يمكن أن تعيق الإنسان عن العمل، فرفض القعود عن العمل بحجة العبادة واعتبر العمل عبادة إذا لم يكن في معصية الله، كما رفض القعود عن العمل بحجة التوكل على الله أو بحجة عدم وجود فرصة عمل، قال تعالى: "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" (الملك/15)، وقوله أيضاً: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" (الجمعة/10)، وقال أيضاً: "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة" (النساء/100)، كما عاب الإسلام أيضاً عيش العالة والبطالة وتكفف الناس لما يسببه ذلك السلوك من ذل ومهانة واحتقار لمكانة الإنسان وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بجمرة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من يسأل الناس أعطوه أو منعوه" (صحيح الألباني/حديث رقم 31)، ولعل أهم ما يبين لنا قيمة العمل وأهميته وعدم الاتكال على الآخرين، وما يجب أن يتربى عليه الأفراد في المجتمع المسلم، هو أن عمل الأنبياء والرسل في حرف عدة، منها الرعي وصناعة الحديد والتجارة...، وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم وأنا كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط" (رواه البخاري/2102).

**3.3- التنظيم الدقيق للمعاملات والتخطيط لها:** نظم الإسلام علاقات الناس ومعاملاتهم مع بعضهم البعض، وبين الحقوق والواجبات لكل فرد في المجتمع بدقة متناهية، وذلك حفاظاً على سلامة المجتمع وقوته ورفاهيته ودرء لأي شكل من أشكال التنازع التي تفتك بالمجتمع وتذهب قوته، ويظهر هذا التنظيم الدقيق للمعاملات والذي يحول دون ظلم الناس لبعضهم من خلال تحريم الإسلام لكل أسباب الفساد عامة، وأهمها حسب الفقهاء أربعة وهي (13):

- **المحرمات لذاتها:** تتدخل الشريعة في السلوك الفردي، بحيث تحرم بعض التصرفات وبعض الأعمال (كالخمر وأكل لحم الخنزير والميتة والدم وسائر النجاسات المؤذية للإنسان...)، لأنها توقع الإنسان في الفقر والحاجة بعد أن كان غنياً...، فضلاً عن التعامل بالميسر والقمار.

- الربا والغرر والاحتكار، فالشريعة الإسلامية شريعة العدل تحفظ حقوق الضعفاء والمحتاجين، لهذا جاء تحريم الربا تحريما قاطعا، لأنه رمز الدمار ومؤشر خراب الاقتصاد وسبب واضح للتفكير، مظهر جلي من مظاهر استغلال حاجة الناس لأكل عرقهم وجهدهم، زيادة عن تحريم للاحتكار..
  - الشروط الفاسدة المخالفة للمشروعية، ومن بينها التبذير بوضع المال وإنفاقه في غير موضعه، ويقول عز وجل: " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" (الإسراء/27)، وعد إعطاء الأجراء حقوقهم، والتي تزيد في استغلال الأقوياء للضعفاء. ينتهج النظام الاقتصادي الإسلامي تخطيطا مدروسا من أجل الوصول إلى ذلك، تتمثل أهم دعائمه على(14):
    - الأصل في الاقتصاد الإسلامي أنه مؤسس على تكاليف شرعية.
    - القواعد الفقهية تمثل ترجيحات لسياسات التخطيط الاقتصادي.
    - وظائف الدولة الاقتصادية التي شرعها الإسلام أداؤها التخطيط الاقتصادي.
 تعمل القواعد الفقهية في إدارة الاقتصاد على تحقيق المصلحة العامة المتمثلة في التقليل من الفقر والقضاء عليه، ومن بين القواعد الفقهية في مجال معالجة الفقر(15):
    - تصرف الإسلام على الرعية منوط بالمصلحة، بمعنى أن إدارة الاقتصاد مرتبط بتحقيق المصلحة، والمتمثلة هنا في الفقر.
    - يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، وفقا لهذه القاعدة هناك مصطلحتين ( مصلحة خاصة ومصلحة عامة )، والتطابق بينهما ليس ضروريا، بل تعتبر المصلحة العامة هي الوعاء الملائم لمواجهة مشكلة الفقر وعلاجها، بمعنى وجود خطة ومن عناصرها علاج الفقر.
    - الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، تنص القواعد الفقهية بأنه عندما يوجد ضررين، أحدهما أخف من الآخر من حيث استخدام الموارد الاقتصادية ومن حيث النتائج...، فإن المشروع في هذه الحالة هو تحمل الضرر الأخف ويزال الضرر الأشد، وهو ما يستلزم وجود خطة، من عناصرها القضاء على الفقر.
- 4.3- التكافل الاجتماعي (التحويلات من الأغنياء إلى الفقراء):** تساهم الأموال التي تتحول من الفقراء إلى الأغنياء في التقليل من حدة الفقر والقضاء عليه، ويمكن اعتبار أهم هذه الأدوات على الإطلاق هي الزكاة، التي تعتبر أحد أركان الإسلام الخمس، فضلا عن وسائل أخرى ويمكن أن تقسم إلى إنفاق إلزامي وإنفاق اختياري، ولقد حث الإسلام عليه بعد كلمة التوحيد، توحيد الكلمة والصف والقلوب بما يؤدي إلى وحدة المجتمع وتماسكه وتضامنه في سياق مجتمع متكافل يسود فيه العدل والغنى والرفاهية.
- **الزكاة :** الزكاة ركن من أركان الإسلام، وقرينة الصلاة في آيات القرآن؛ فهي عبارة عن عبادة مالية يتقرب بها الإنسان إلى ربه، والزكاة رابطة دينية بين الإنسان وربه من جهة، فهو يؤدي حقها ويرجو الثواب من ورائها، ورابطة بين الإنسان ومجتمعه من جهة أخرى . اعتنى الإسلام بالزكاة باعتبارها عبادة مالية، وأحد دعائم الاقتصاد الإسلامي، فهي تجمع بين صفتها المالية وصفتها الدينية، وتجدر الإشارة إلى أن فريضة الزكاة إذا تم تنظيمها بطريقة جيدة بأن تحل العديد من المشاكل الناتجة عن الفقر (اجتماعية واقتصادية وأخلاقية..)، وللزكاة دور فعال في التضييق على وسائل الإنتاج المعطلة، ولها مقدرة فائقة على محاربة البطالة وأثرها واضح في توزيع الدخل والثروة، فقد دعا الإسلام للتحرر من عبودية المال، وحث للعمل على تحريك رأس المال، وبالتالي الحفاظ عليه وتنميته .
- تتمثل الزكاة بالأموال التي تنقل من الأغنياء لترد على الفقراء وبقية الأصناف الثمانية لمن بلغ ماله النصاب، وذلك لقوله تعالى: " إنَّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" ( التوبة/60)، وتعد الزكاة مؤسسة التكافل الاجتماعي في البيئة الإسلامية للأسباب التالية(16):

- يتحمل أغنياء المجتمع تبعات ظروف العيش الكريم للمحتاجين والفقراء بإشراف الدولة، مما يعمق مشاعر الأخوة، وينشر المحبة بين أفراد المجتمع، ويوثق صور التعاون والترابط بينهم؛ حيث انتشار مظاهر الجوع والحرمان يولد الحقد، ويدفع للكراهية، ومن ثم يؤدي إلى خلخلة أمن المجتمع واستقراره.

- إن العطاء في الشريعة الإسلامية يهدف إلى استئصال الفقر والقضاء عليه، لأن هدفه تحويل الفقراء إلى أغنياء لا يعودون بحاجة إلى الزكاة مرة أخرى، ويضع الإسلام قواعد السلوك الاقتصادي للأغنياء بعيداً عن الترف، والكبر، والاستغلال، والتسلط؛ فالإسلام ينظر للمال بأنه مال الله، والناس مستخلفون فيه.

- تعني مصارف الزكاة بمحاربة كل صور الحاجة التي تقوم في المجتمع.

من أجل إشباع حاجات الفقراء، والمساواة بينهم وبين الآخرين ورفعهم إلى مستوى الطبقة العامة من الناس فقد أوجب الإسلام الزكاة، وهي الصدقة الواجبة من المال على الأنعام الثلاثة والغلات الأربع والنقدين؛ وحث على إخراج الزكاة المستحقة ما دون ذلك، وخصّص الأنعام الثلاثة بالإبل والبقر والغنم، والغلات الأربع بالحنطة والشعير والتمر والزبيب، والنقدين بالذهب والفضة (17).

لكن ما يمكن الإشارة إليه هو أنّ مجتمع يمنع الزكاة أو يصرفها في غير مصارفها، ويعطل الشريعة ويجارب مظاهر التدين أن يبارك له في رزقه، وأنّ مجتمع ضيّع الإيمان ونسي الله تعالى في السراء والضراء معا أن يعان على تخطي مشاكله، وجاء في الحديث: " يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بها ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلاّ منعوا القطر من السماء ولو لا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدو من غيرهم فيأخذ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم" (رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له وصححه الحاكم والألباني).

يمكن القول بأن الزكاة شرعت لتربية الغني، إذ عليه أن يتعلم أن الحياة ليست كلها مادة، وأن عليه أن يدفع جزءا من ماله دون أن يرجو من ذلك مطلبا ماديا بل مساعدة على البدء لمن يريد أن يبدأ حياة الجد والإنتاج، ومساعدة على النهوض لمن يريد النهوض لمن يريد أن ينهض من الفقراء، لذلك نرى أن يعطى الفقير من الزكاة ما يساعده على بدء حياة جديدة يودع فيها الفقر، ويبدأ بها الإنتاج، واتفق الفقهاء على أن يعطى صاحب الحرفة من الزكاة- إن كان فقيرا- بما يمكنه من القيام بحرفته، وبذلك تصبح الزكاة ركيزة أساسية من ركائز التنمية الاقتصادية، وعاملا من عوامل القضاء على البطالة (18).

#### • إيجاب النفقة على الأقارب والأرحام: جعل الإسلام للقريب حقا في مال قريبه إضافة إلى حقه كسائر المسلمين في البر

والصلة وعدم القطيعة، فكما أن له حق في ميراث قريبه فإن عليه واجب الإنفاق إذا كان قريبه فقيرا وهو غني، وفي ذلك قال تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى" (النساء/36)، وقوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى" (النحل/90)، فالمولى عزّ وجلّ أمر بإعطائهم ما يحتاجون.

تجدر الإشارة إلى أن صلة الرحم تكون سببا لسعة الرزق ونزول البركة في المال وكثرته وكذا في العمر، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له من أثره فليصل رحمه" (البخاري: 1925/2)، ولعل من أهم مظاهر صلة الرحم كفالتهم وإعانتهم ماديا وعدم الالتزام بذلك يعد قطيعة لهم (19).

تجدر الإشارة إلى أن التواصل مع الأقارب والأرحام والقيام بهذا الواجب له آثار معنوية ومادية، وذلك لا يتحقق إلا بالتواصل والزيارة والتفقد، وتقديم المعونة وسد الخلة وبذل المعروف، والاهتمام بالأقارب والأرحام قولاً وفعلاً، كما أن صلة الرحم والإنفاق على ذوي القربى لا يجب أن تأخذ طابعا تفضيليا، بل ينظر إليه على أساس أنه واجب شرعي يؤجر عليه أعظم الأجر لمن قام به محتسبا، ويؤثم من تخلى عنه وقصّر فيه.

#### • الجيران وبقية أبناء المجتمع: يريد الإسلام أن يجعل من أبناء المجتمع وحدة واحدة، وجسداً متماسكاً، مما يدفعهم إلى أن

يتكافلوا ويتعاونوا في السراء والضراء، فيحملون الضعيف، ويطعمون الجائع، ويكسون العاري، فإن لم يكن الأمر كذلك بأن تخلي أحد عن القيام بواجبه فإنه لا يستحق الانتماء إلى ذلك المجتمع الذي تربط أفراد بعضهم ببعض أخوة الإيمان والدين والعقيدة التي تعد أقوى الروابط (20)، يقول الله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة" (الحجرات/10)، والمرء بمجرد إسلامه يستحق هذا اللقب العظيم ويتحقق له هذا الرابط المهم، لقوله تعالى: "فإن تابو وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين..." (التوبة/11)، ويقول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" (صحيح البخاري: 135/3)، ولهذا الرابط حقوق عظيمة يجب القيام بها، والحذر كل الحذر من التفريط بها، أو التهاون في أدائها، منها ما جاء في الحديث الصحيح عنه قوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (صحيح مسلم)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة" (صحيح البخاري: 134/3).

نلاحظ من خلال ما سبق عناية الإسلام بتقوية أواصر المودة والأخوة بين أبناء المجتمع وذلك من خلال رابطة الأخوة الدينية وكيف يجب أن تكون في حقيقتها نصرّة وتعاضداً ورفعاً للظلم عنه والسعي في حاجته.

ولقد رتب الإسلام على القيام بهذا الواجب أجرًا عظيمًا في الدنيا في الآخرة وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته" (صحيح البخاري: 134/3)، يعني من سعى لقضاء حوائج إخوانه من المسلمين كان الله في قضاء حاجاته، معينًا له وميسرًا عليه، وتأتي بعض الأحاديث فتنتقل لنا صورة يتعجب منها المتلقي، في روعة تصويرها لأهمية هذا الأمر، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال: "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده" (صحيح مسلم)، يبين لنا هذا الحديث أهمية الفرد في القيام بحق إخوانه من المسلمين كالجيران وغيرهم من أبناء المجتمع وعدم التخلي عنهم، لأن المرء سيحاسب على تقصيره فيها ولا بد، كما أن هذا الحديث يدل على أهمية دور أفراد المجتمع في التواصل مع بعضهم البعض. كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" (سنن الترمذي: 333/4)، ولا شك أن مثل هذه العناية فيها سد للخلة ودعم مادي يحقق في الجملة حياة مستقرة بعيدة عن الفاقة والفقر.

• **الوقف:** الوقف في الاصطلاح الفقهي هو "تحييس الأصل وتسييل المنفعة" (21)، أو هو منع التصرف في ربة العين، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء، ولقد ورد في السنة النبوية بعض الأحاديث الدالة على ذلك، في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له" (سنن الترمذي، ج3/حديث 1376)، وقد نقل عن أبي حامد الغزالي قوله "وليس الصدقة الجارية إلا الوقف"، قال الإمام الشوكاني رحمه الله بعد أن تحدث عن ثواب الأشياء الثلاثة: "...وكذا الصدقة الجارية، وهي الوقف"، وخلف نظام الوقف تكمن منظومة من القيم الإسلامية التي تحض المسلمين على الصدقات والمشاركة في الشؤون العامة للمجتمع، وتحث على المبادرة الحرة وتحمل المسؤولية، ثم إن الوقف عبادة مالية وإن كان يظهر في شكل عمل تطوعي، لذا فإن الوقف هو نوع من إعادة التوازن بين الدولة والمجتمع وبين أفراد المجتمع وقطاعاته المختلفة، فالمشروعات الوقفية توجه بدرجة كبيرة لرعاية الفئات الفقيرة والمحرومة وتقديم الخدمات لها مع الحرص على تحويلها إلى فئات منتجة ونشيطة (22).

إن أكثر أهل العلم، من السلف ومن بعدهم، على القول بصحة الوقف، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف" (23)، والشيء المحبوس تبقى منفعته باستمرار لا تنقطع بذهاب الشخص، ولهذا فإن الوقف أنفع للعامة من الفقراء وأبناء السبيل، ويمكنهم استغلال ذلك إذا كانت عبارة أن أراضي صالحة للزراعة...

• **القرض الحسن:** يمكن للمدخر أن يقوم بتقديم القرض الخالي من الربا، والمسمى بالقرض الحسن إلى من يعاني من آثار الأزمة

الاقتصادية، فالقرض الحسن يعتبر عوناً يتقدم به القادر الميسور لمن أعوزه المال وعزّ عليه، ونوعاً من أنواع توزيع الثروة (24)، ومن بين الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون" (البقرة/245)، وقوله تعالى: "إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ" (الحديد/18).

تدعيماً لأواصر الألفة والمحبة في المجتمع المسلم فقد شرع الإسلام القرض الحسن وجعل له الثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، وفوق ذلك أوصى القرآن بالصبر على المعسرين، ففي قوله تعالى: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون" (البقرة/280)، وبذلك فقد سد الإسلام الباب نهائياً على الربا والمرابين وقضى على أخلاق الأنانية والجشع والحسد والبغضاء التي تنجم عن الربا واستبدالها بأخلاق الإيثار والمودة والتراحم التي تتوافق مع القرض الحسن والصدقات التطوعية والكفارات والهدايا وحقوق الجار والضيف... الخ (25).

يلعب القرض الحسن دوراً فعالاً في إدارة الأزمة التي قد يعاني منها المنتج والتاجر في الصعوبات المالية التي تهدد إفلاسه، وحتى الإنسان المدني المعسر الذي لا يستطيع سد مصاريف الشهرية، وفي ذلك تحدث علماء الاقتصاد عن نوعين من القروض هما (26):

- القرض الإنتاجي: هو قرض حسن يقدم للمؤسسات الإنتاجية، ليدخل في دائرة الاستثمار التي تؤدي إلى تنشيط الدورة الاقتصادية.
- القروض الاستهلاكية: هو قرض يقدم للأشخاص بهدف تأمين حاجاتهم الاستهلاكية، وهذا يكون غالباً بدافع ديني لإخراج الفرد من أزمته، وفي نفس الوقت تنشيط الاستهلاك.

• **الترغيب في الصدقات التطوعية:** وهو الإنفاق تطوعاً لوجه الله على الفقراء وذوي الحاجة ونحوهم، ولقد رغب الإسلام في صدقة التطوع التي لا تتحدد بزمن أو بمقدار أو جنس من المال، ومما ورد في الترغيب في ذلك الوعد بالتعويض في الدنيا والآخرة، قوله تعالى: "وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً" (المزمل/20)، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم)، كما ذكر صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تنقص المال شيئاً، لأن الله تعالى - هو الرزاق - يرزق صاحبها ويبارك له فيما بقي من ماله بعدها فقال عليه الصلاة والسلام: "ما نقص مال من صدقة" (صحيح مسلم)، كما أنها ترد البلاء، فقال صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها" (جامع الأصول: رقم 4645).

تجدر الإشارة إلى أن الصدقات التطوعية قد تكون بأعيان الأشياء كالتصدق بالنقود والطعام ونحو ذلك وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله ولو بشق ثمرة" (البخاري ومسلم)، وقد تكون بالمنافع كإعارة الجار الفقير شيئاً من الأدوات المنزلية وغيرها.

**5.3- دور الدولة:** إن مسؤولية ولي الأمر أو الدولة هي مسؤولية شرعية قبل كل شيء استناداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته... (البخاري/ 844)، قال الإمام الحافظ ابن حجر والراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم بصلاح ما أؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، إن مسؤوليته هي أن يحقق العدل ويزيل الظلم، يقول الإمام ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة الكافرة مع العدل ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم" (27)، إن أهم أدوار الدولة المسلمة في هذا المجال تكمن في (28):

- تحصيل وتوزيع الزكاة وإيجاد مؤسسة مستقلة لها.
- إدارة واستثمار ممتلكات الأوقاف، والعمل على توسيع مجالاتها.
- دعوة الأغنياء للإنفاق في سبيل الله لتوفير الحاجات الأساسية للفقراء.
- الإنفاق العام من الإيرادات العادية للموازنة العامة للدولة.
- فرض وظائف مالية جديدة أو زيادة معدلات الضرائب القائمة.

- ضمان توفير حد الكفاية لكل أفراد المجتمع.
- تلعب الدولة في المجتمعات الإسلامية دور مهم في تخصيص الموارد حسب الاحتياجات والأولويات، وتوظيفها من أجل علاج ظاهرة الفقر والتقليل من حدتها، وذلك تحقيقا لمقاصد الشريعة، والتي تتمثل في (29):
- المقاصد الضرورية: وهي أمور لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا ( حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ المال وحفظ العقل)، ومن دونها سوف ينتشر الفساد، أو بتعبير آخر توفير ما يبقى الإنسان على قيد الحياة.
- المقاصد الحاجية: هي أمور عند توفيرها تساهم في التوسعة ورفع الضيق والحرج على الفرد، فهي تعمل على تيسير الحياة.
- المقاصد التحسينية: تتمثل في تحقيق مكارم الأخلاق، أو ما يجمّل الحياة.
- يمكن القول بأن تخصيص الموارد وفقا للمنهج الإسلامي للأولويات مؤسس على المقاصد السالفة الذكر، سيساهم في مواجهة الفقر، حيث يمنع من تبديد الموارد والإسراف فيها، ويوفر السلع الضرورية قبل السلع الكمالية والترفيهية.
- فضلا عما تم ذكره فإن الدولة في المجتمع المسلم، حث الإسلام على حتمية استغلالها الجيد للموارد العامة والالتزام بمسؤولياتها الإجتماعية، وبالأخص فيما يتعلق بمعالجة الفقر والتي نوجزها فيما يلي (30):
- تأمين موارد المال العام من خلال الاستثمار في استخراج ما هو موجود في باطن الأرض وفي أعماق البحار من ثروات.
- إيجاد فرص عمل للقادرين عليه، من خلال البحث عن أحسن الحلول للبطالة، وذلك بإنشاء المؤسسات.
- تنظيم وسائل التكافل الفردي، وخاصة الزكاة والوقف، من خلال وضع السياسات اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة والمتمثلة في القضاء على الفقر.
- التعاون بين البلدان الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، وأساس ذلك قوله تعالى: " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب " ( المائدة/2).
- هناك آليات أخرى يمكن أن تساهم في القضاء على الفقر أو التقليل من آثاره على الفرد والمجتمع، وسوف نذكرها فيما يلي:
- الكفارات بمختلف أنواعها ( كفارة اليمين، كفارة الجماع، القتل الخطأ...).
- النذور،
- الأطعمة والذبائح ( الهدى، العقيقة، الأضحية)،
- زكاة الفطر... الخ.

#### الخاتمة

من خلال هذا العرض المختصر لظاهرة الفقر والأساليب الكفيلة بحلها أو التقليل من حدتها وفقا للشريعة الإسلامية، يمكن الإشارة إلى أن كل حل أو أسلوب أساسه التوفيق الإلهي، مما يعني الرجوع إلى الله في كل صغيرة وكبيرة، من خلال تنفيذ أوامره واجتنب نواهيه، فذلك هو مصدر البركة الرئانية والنجاح في مختلف الأعمال، بطبيعة الحال مع الأخذ بالأسباب، وفي ذلك يقول المولى عز وجل: " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض " (الأعراف/96)، وقوله تعالى: " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم " (المائدة/66)، فهذه هي بداية حل مشكلة الفقر، فالانطلاقة لا بد أن تكون بالإيمان والعقيدة الصحيحة المترسخة في المسلم، قبل التفكير في الحلول الأخرى، لأن مشكلة الفقر أساسها قد نحصره في النقاط التالية:

- كفران النعمة، - القصور في استغلال الموارد، - سوء توزيع الدخل وعدم الإنفاق في سبيل الله. لذلك وضعت الشريعة الإسلامية بين أيدينا حلولاً عملية للقضاء على الكفر، أو على أقل تقدير التقليل من حدتها، ولكن نحن بعيدين عنها، فأني يكون التوفيق الإلهي، ولقد ارتكزت هذه الحلول على جانبين أساسيين، **فالجانب الأول يتعلق بالإنتاج**، حيث دعا الإسلام على التنمية الاقتصادية واعتبر تعمير الأرض من أفضل ضروب العبادة، واعتبر الإنتاج النافع واجب لا يكمل الواجب الديني إلا به، بشرط أن يكون هذا الناتج منسجماً مع دائرة الحلال، وهو ما يسد منافذ الشهوات والسلوكيات الضارة التي تستنفد جانباً من الموارد، وتعتبر التنمية الاقتصادية فرضاً على الفرد والدولة، ولذلك يأمرنا الله تعالى بالمشي في مناكب الأرض والانتشار فيها، أي ممارسة كافة العمليات الإنتاجية والحرفية والزراعية، كما في قوله تعالى: " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور" (الملك/15)، بينما يرتبط **الجانب الثاني بالتوزيع**، حيث يكفل الإسلام عن طريق الزكاة حد الكفاية أو حد الغنى لكل فرد، أي إذا عجز الفرد على توفير المستوى المناسب لمعيشته لسبب خارج عن إرادته، فإن نفقته تكون واجبة على بيت مال المسلمين أو في خزانة الدولة.

لقد وضع الإسلام الأدوية المتعددة لداء الفقر، وبيّن الحلول المتنوعة لمعضلة الحاجة والحرمان، ولم يكن ذلك مجرد مبادئ نظرية يتم الحديث عنها بعيداً عن صلاحيتها للواقع، بل إن المسلمين قد طبقوها وأقاموها في مجتمعاتهم فحصل ما تكلم عنه التاريخ بفخر واعتزاز، حتى إن تأريخ الأمة الإسلامية ليشرّف بذلك العهد الزاهي الذي لحق عهد الخلفاء الراشدين ونقصد به عهد خلافة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، ولنقرأ معاً ما رواه ابن كثير في البداية والنهاية فيقول: " كان منادي عمر ينادي كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء".

فهل لولاة أمر المسلمين أن يعودوا إلى دين ربهم وشرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوسوا شعوبهم ودولهم بما، فيجتنبوا خير الدنيا ونعيم الآخرة، وينعموا بالعيش والحكم بعيداً عن ثغايات الغرب والشرق واستغلالهم؟.

### قائمة بالمراجع

- القرآن الكريم.
- كتب الحديث ( الأحاديث النبوية).
- (1) سالم برقوق - زبيري رمضان: " الإقلاق من الفقر في الفكر الإقتصادي الإسلامي - مقارنة معرفية\_.
- (2) كمال حطاب: " دور الاقتصاد الإسلامي في مكافحة مشكلة الفقر"، ص1304، **على الموقع:** [http:// kamalhatab.infoblogwp- contentuploads200712eco6.pdf](http://kamalhatab.infoblogwp-content/uploads/2007/12/eco6.pdf)
- (3) صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريخ: " معالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المعاصرة لها"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد45، ذو القعدة 1429هـ.
- (4) زهير الأعرجي: " العدالة الاجتماعية وضوابط الثروة في الإسلام"، ص129.
- (5) عبد الهادي علي النجار: "الإسلام والاقتصاد: دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، 1983، ص136-137.
- (6) عمر حبيب حسنة: " منهج الإسلام للقضاء على الفقر"، المكتبة الإسلامية، إسلام ويب.
- 1998-2014©Islamweb.net
- (7) محمد راتب النابلسي: " خطبة الجمعة: الخطبة 600، بتاريخ 1997/01/17، موقع موسوعة النابلسي.
- (8) سالم برقوق، مرجع سبق ذكره.
- (9) أبو عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري: " مشكلة الفقر وعلاجها في الشريعة الإسلامية"، موقع الشيخ محمد حاج عيسى الجزائري ( في طريق الإصلاح)، [www.islamway.com](http://www.islamway.com)
- (10) عمر عبيد حسنة، مرجع سبق ذكره.

- 11) صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، مرجع سبق ذكره.
- 12) كمال حطاب، مرجع سبق ذكره، ص 1309.
- 13) سالم برفوق، مرجع سبق ذكره - أبو عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري، مرجع سبق ذكره.
- 14) عمر عبيد حسنة، مرجع سبق ذكره.
- 15) نفس المرجع.
- 16) مرسي السيد الحجازي: " الزكاة والتنمية في بيئة إسلامية "، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد الإسلامي، المجلد 17، العدد 2، ص 11-13.
- 17) زهير الأعرجي، مرجع سبق ذكره.
- 18) محمد رواس قلعه جي: " مباحث في الاقتصاد الإسلامي (من أصول الفقه)"، ط 4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2000، ص 119.
- 19) ياسين بن طه بن سعيد الشرجي: " سياسة الإسلام في محاربة الفقر "، مجلة البيان، العدد 152، ربيع الثاني، 1421، ص 118-127.
- 20) صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، مرجع سبق ذكره.
- 21) الشرح الكبير على المغني، جزء 6، ص 206.
- 22) سالم برفوق، مرجع سبق ذكره.
- 23) حسن محمد الرفاعي: " الاستهلاك والادخار في الاقتصاد الإسلامي "، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2006، ص 139.
- 24) نفس المرجع، ص 124.
- 25) سالم برفوق، مرجع سبق ذكره.
- 26) حسن محمد الرفاعي، مرجع سبق ذكره، ص 128-129.
- 27) سالم برفوق، مرجع سبق ذكره.
- 28) جمال لعمارة: " موقف الفكر الإسلامي من انعكاسات ظاهرة العولمة على دور الدولة في الاقتصاد "، المؤتمر العلمي السابع للجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، علم الاقتصاد والتنمية العربية، القاهرة، 28-29 ماي 2005، ص 10.
- 29) عمر عبيد حسنة، مرجع سبق ذكره.
- 30) رشيد ناجي الحسن: "الفقر رؤية واقعية..(العلاج)2"، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة الكويت، مارس-أفريل 2012.